التداوي بالأحجار الكريمة في المغرب الإسلامي: بين الموروث الطبي والرمزية الروحية، من خلال كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار لأبي العباس أحمد التيفاشي (580هـ / 1184م- 651هـ / 1253م).

Temstone Therapy in the Medieval Islamic Maghrib: Medical Tradition and Spiritual Symbolism in *Azhar al-Afkar fi Jawahir al-Ahjar* by Abu al-ʿAbbas Ahmad al-Tifashi (580–651 AH / 1184–1253 CE).

د. مغراوي سميرة
جامعة معسكر. samirameghraoui@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2026/02/27 ؛ تاريخ القبول: 2026/04/09 ؛ تاريخ النشر: 2026/06/15

الملخص:

يُعَدّ علم الأحجار الكريمة من الموضوعات التي استقطبت اهتمام العلماء المسلمين في العصور الوسطى، نظرًا لما تحمله هذه الجواهر من رمزيةٍ علمية وطبية وروحية. وقد تداخل في دراستها العلم بالتجربة، والعقيدة بالملاحظة، فكانت الأحجارُ وسيلةً للتأمل في بديع خلق الله، ومجالًا للبحث في خصائص المواد وتأثيرها في الإنسان والبيئة. وفي هذا السياق برز الاهتمام بالتداوي بالأحجار الكريمة بوصفه فرعًا من فروع الطب الطبيعي الذي يقوم على ملاحظة التجربة الحسية، والاستفادة من خصائص المعادن والأحجار في علاج بعض الأمراض الجسدية والنفسية.

يُعد موضوع التداوي بالأحجار الكريمة في المغرب الإسلامي مجالًا ثريًا ومتعدد الأبعاد، إذ يتقاطع فيه البعد الثقافي مع العقائدي والطب الشعبي، ويكشف عن تداخل واضح بين المعارف الطبيعية والتصورات الرمزية والروحية. فرغم أن التداوي بالأحجار ظاهرة عرفتها العديد من الحضارات القديمة، إلا أن حضورها في الفضاء الإسلامي، وخاصة في بلاد المغرب، اتخذ طابعًا خاصًا يمزج بين العلمي والرمزي، والديني والثقافي. وقد تأثرت هذه الممارسة بموروثات فارسية ويونانية وهندية، أُعيد توظيفها ضمن إطار إسلامي محلي يتسم بخصوصيات مغاربية.

الكلمات المفتاحية:

المعادن والأحجار، التيفاشي، التداوي الطبيعي، بلاد المغرب، الأحجار الكريمة.

Abstract: The science of gemstones was among the subjects that attracted the sustained interest of Muslim scholars in the Middle Ages, owing to the scientific, medical, and spiritual symbolism attributed to these precious substances. Their study brought into dialogue empirical investigation and religious belief, so that gemstones became at once a means of contemplating the marvels of God's creation and a field for examining the properties of materials and their effects on human beings and the natural environment. Within this framework, the therapeutic use of gemstones emerged as a branch of natural medicine grounded in sensory observation and practical experience, drawing upon the perceived properties of minerals and stones in the treatment of certain physical and psychological ailments.

The subject of gemstone therapy in the Islamic Maghrib constitutes a rich and multidimensional field of inquiry, situated at the intersection of cultural practice, religious belief, and popular medicine. It reveals a clear interplay between natural knowledge and symbolic as well as spiritual conceptions. Although the medicinal use of stones was known to various ancient civilizations, its presence in the Islamic milieu—particularly in the Maghrib—assumed a distinctive character that combined the scientific and the symbolic, the religious and the cultural. This practice was shaped by Persian, Greek, and Indian legacies, which were reinterpreted and integrated within a localized Islamic framework marked by specifically Maghribi features.

Keywords: Minerals and Stones ; al-Tifashi ; Natural Healing ; the Islamic Maghrib ; Gemstones.

مقدمة:

التداوي بالأحجار الكريمة في المغرب الإسلامي يمثل موضوعًا غنيًا ومتشعبًا، يجمع بين جوانب متعددة من الثقافة والعقيدة والطب الشعبي، ويعكس تداخل العلوم الطبيعية بالتصورات الروحية والرمزية. إذ يُعد التداوي بالأحجار الكريمة ظاهرة عالمية عرفتها الحضارات القديمة، غير أن حضورها في المجال الإسلامي، وخصوصًا في بلاد المغرب، اكتسى طابعًا مميزًا، يتداخل فيه العلمي بالرمزي، والديني بالثقافي. وقد تميزت هذه الممارسة بتأثيرات فارسية ويونانية وهندية، تم تطويعها في سياق إسلامي مغاربي. وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند هذا الموضوع من خلال البحث في: الجذور التاريخية للتداوي بالأحجار الكريمة، كما سنتعرف على أبي العباس أحمد التيفاشي، وكتابه أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، وأهم الأحجار المستخدمة وخواصها العلاجية والروحية، ومنه نطرح التساؤل التالي إلى أي حد كان التداوي بالأحجار الكريمة في

المغرب الإسلامي ممارسة علمية تستند إلى تصورات طبية، أم أنه كان تعبيرًا عن معتقدات رمزية وسحرية ؟

يهدف هذا البحث إلى دراسة التداوي بالأحجار الكريمة في المغرب الإسلامي من خلال تحليل منهج التيفاشي في مؤلفه، واستكشاف العلاقة بين المعرفة العلمية والتجربة الطبية في فكره، مع التركيز على كيفية توظيف الموروث العلمي الإسلامي في تفسير الظواهر الطبيعية والعلاجية. كما يسعى إلى إبراز الدور الذي لعبه العلماء المغاربة في تطوير هذا العلم، وإلى توضيح مكانة التيفاشي ضمن سلسلة العلماء الذين جمعوا بين العلم الطبيعي والتصوف الروحي في معالجة الإنسان للكون والوجود.

كما تهدف إلى استقصاء موضوع التداوي بالأحجار الكريمة في المغرب الإسلامي، من خلال الوقوف على جملة من المحاور، تشمل: تطور هذه الظاهرة في التراث المغاربي، ورصد أهم الأحجار المستخدمة وخواصها العلاجية والروحية، فضلًا عن استكشاف العلاقة بين الطب والروحانيات في هذا السياق، وذلك كله من خلال كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار.

1- الجذور التاريخية للتداوي بالأحجار الكريمة:

يشير التراث العلمي الإسلامي إلى أن دراسة الأحجار الكريمة لم تكن مجرد هواية أو اعتقاد شعبي، بل كانت مجالًا معرفيًا متداخلًا بين الطب والكيمياء والفلك والتصوف، ففي المغرب الإسلامي، ارتبطت هذه الممارسة بالبيئة الثقافية المحلية، حيث تكاملت المعارف الفارسية والهندية واليونانية مع التراث الإسلامي الوسيط (التيفاشي، 1983، ص 15—22)، فمن خلال كتاب التيفاشي يظهر أهمية الملاحظة والتجربة في دراسة الأحجار، معتبرًا أن لكل حجر قوة طبيعية وتأثيرًا باطنيًا يمكن استخدامه في علاج الأمراض الجسدية والنفسية، مع ربط هذه القوى بالنجوم والكواكب وفق تصورات الطب اليوناني والإسلامي .(Nasr, 1976, p. 154—160)

بدأ الاهتمام بالأحجار الكريمة في العالم الإسلامي منذ العصور الأولى، لكنه ازدهر أكثر في العصر العباسي وما بعده، خاصة في بيئات مزدهرة علميًا مثل بغداد، والقاهرة، والقيروان، وفاس.

ففي بغداد (العصر العباسي): انتشر علم الأحجار في بلاط الخليفة هارون الرشيد والمأمون، حين نشطت حركة الترجمة، فترجم المسلمون كتب اليونانيين عن المعادن والأحجار، ومنها ما يخص بلينيوس وديوسكوريدس. فقد قام الطبيب الرازي في كتابه *الحاوي* بذكر استخدام الإثمد (نوع من الأحجار السوداء) في علاج العين (الرازي، 2000، ص 113)، كما ألّف الكندي كتابًا في خصائص الأحجار وتأثيرها الفلكي، كما ربط بين الأحجار والأبراج (الكندي، 1950، ص 45—65).

أما في القاهرة فقد اهتم الفاطميون بالأحجار الكريمة في الزينة والطب، والعلاج، وقد ذُكرت هذه الممارسات ضمن مؤلفات عن التاريخ الفاطمي (المقريزي، 1998، ص 88–90)، وارتبطت بها مفاهيم روحانية (مثل حجر العقيق). أما خلال العصر المملوكي، كان البيمارستان المنصوري يحتوي على قسم للمعادن المستخدمة طبيًا، فقد ضم البيمارستان المملوكي (ابن أبي أصيبعة، ص 447–450)، أقسامًا للمعادن والأدوية المركبة فقد أشاروا إلى لبس الخاتم العقيق طلبًا للبركة.

أما في القيروان (عاصمة المغرب الأدنى): فعلى عهد الأغالبة، وُجِدت إشارات في الطب المغاربي إلى استخدام الكحل (الزهراوي، 2008، ص 95) المعدني و"الماء الممزوج بأثر الأحجار". كما أشتهر أطباء القيروان، أمثال إسحاق بن عمران (ت 296هـ) وهو من أبرز أطباء القيروان، ألف في أمراض النفس والجسد، وذكر استخدام المعادن في الطب في علاج بعض الأمراض الجلدية (ابن جلجل، 1996، ص 67).

أما في فاس (المغرب الأقصى)، فقد ظهر الاهتمام بالأحجار منذ تأسيس جامع القرويين، وتطوّر الفكر العلمي، واهتمام المغاربة بالفلك والطب، وقد حفظت بعض المخطوطات المغربية إشارات إلى استخدام الياقوت والفيروزج (المنوني، 1990، ص 221–225)، كما وردت إشارات عن علماء مغاربة نقلوا عن التيفاشي وغيره في كتابات بيطرية وطبية (التيفاشي، 1983، ص 210–215)، وذكروا خواص الأحجار في علاج الإنسان والحيوان.

هذه الأمثلة تبيّن أن الاهتمام بالأحجار الكريمة لم يكن مجرد تقليد للثقافات السابقة، بل أصبح جزءًا من العلوم التطبيقية والموروث العلاجي في العالم الإسلامي، وظهر ذلك جليًا في كبريات المدن الإسلامية.

2. أبو العباس أحمد التيفاشي:

أبو العباس التيفاشي (580هـ / 1184ت. 651هـ/1253م): وهو أبو العباس أحمد بن يوسف بن إدريس التيفاشي القفصي، ويُنسب إلى تَفَشْ (تيفاش)، وهي بلدة صغيرة قرب مدينة قفصة جنوب تونس الحالية (الرافعي، 1965، ص 214)، بالمغرب الأدنى (إفريقية). هو عالم موسوعي من المغرب الإسلامي برع في ميادين متعددة شملت الأدب، الطب، المعادن، الجيولوجيا، علم الأرصاد، والعادات الشعبية (العلوي، 1980، ص 132–135)، اعتمد في منهجه العلمي على الملاحظة والتجربة الدقيقة، وجمع بين المعرفة العلمية والمأثورات الشعبية (التيفاشي، 1977، ص 10–18).

يقول الباحث فتحي الشارف الغزال:"التيفاشي ليس مجرد ناقل للموروث، بل أعاد إنتاج المعرفة العلمية ضمن بيئته المغاربية، ووسّع من إمكانيات التوظيف الرمزي والطبي

للأحجار (الغزال، 2015، ص 201)، ويقول عزيز العظمة: "أعمال التيفاشي تُبرز التداخل العميق بين العلم والأسطورة في الثقافة الإسلامية الوسيطة، لا سيما في علم الجواهر (العظمة، 1991، ص 88–90).

1.2- بيئته العلمية والثقافية:

نشأ في قفصة التي كانت آنذاك مركزًا حضاريًا وثقافيًا مهمًا في إفريقية، قام التيفاشي برحلات إلى مدن إسلامية كبرى مثل: القيروان، القاهرة، دمشق، بغداد، الموصل (الرافعي، ص 216–218)، ما أتاح له الاطلاع على مكتبات ضخمة ومقابلة كبار العلماء، وأثرى بذلك معرفته العلمية والأدبية مما مكنه من الاطلاع على ثقافات متعددة. عاش في فترة من التحولات السياسية والعلمية، بعد سقوط الدولة الموحدية وظهور الحفصيين، وهي فترة امتزجت فيها العلوم الطبيعية بالفكر الصوفي والباطني في بعض البيئات العلمية (العلوي، ص 140–142).

2.2 - مكانته العلمية ومنهجه

يُعد التيفاشي مؤسسًا لأول تصنيف علمي للمعادن قائم على تشابه الخصائص الفيزيائية، حيث جمع المعادن المتقاربة في فصول واحدة (Brockelmann, , 1899, 512)، كما وضع نظريات حول أصل المعادن الثانوية وطريقة تكوّن الخامات المعدنية (محمد سليم، 1995، ص 77–85)، وفسّر ظواهر مثل: التشقق، التسويس، الطرائق أو التوأمة البلورية.

اعتمد التيفاشي على التجربة العملية في بحوثه، مثل استخدام اختبار اللهب لتحديد طبيعة المعادن، ودراسة انكسار الضوء وتشتيته في الأحجار الكريمة (التيفاشي، 1977، ص 55–60)، مما جعله رائدًا في دراسة الخصائص الفيزيائية للمعادن قبل قرون من الدراسات الأوروبية المماثلة.

أثرت أعمال التيفاشي على نشأة علم المعادن الحديث في أوروبا، خاصة على الفيزيائي الألماني جورجيوس أجريكولا (1555م)، حيث استند الأوروبيون إلى أبحاثه ونظرياته حول المعادن دون الإشارة إليه أحيانًا (Brockelmann، 1899، ص 513). وتبقى مخطوطاته محفوظة في مكتبات عالمية كمكتبة الكونغرس الأمريكي، مكتبة جامعة أكسفورد، مكتبة باريس، مكتبة هولندا، مكتبة إسطنبول (محمد يوسف، 1977، ص 122–125).

3. كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار:

يُعَدُّ كتاب **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار** لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي من أبرز المصنفات في علم الأحجار في التراث الإسلامي الوسيط، إذ جمع فيه مادة موسوعية تناولت ما يزيد على ستين نوعًا من الأحجار الكريمة والمعادن، عارضًا

لأوصافها الطبيعية، وخصائصها الفيزيائية، واستعمالاتها الطبية والرمزية. وتكمن أهمية هذا المصنف في كونه لا يقتصر على الجمع الوصفي، بل يعكس تداخلاً منهجيًا بين الفلسفة الطبيعية والطب والتصورات الروحية، في سياق مغاربي تأثر بالمشرق والأندلس معًا (التيفاشي، 1977، ص 25–35).

وقد أشار عدد من الباحثين المعاصرين إلى أن علم الأحجار في الحضارة الإسلامية لم يكن علمًا هامشيًا، بل كان جزءًا من منظومة "علم الخواص" المرتبطة بالطب الطبيعي والكيمياء والكونيات. ففي تحليله للعلوم الطبيعية الإسلامية، يرى Seyyed Hossein Nasr أن دراسة المعادن والأحجار كانت تقوم على تصور كوني يعتبر المادة حاملةً لقوى نوعية (qualitative forces)، وأن هذه الرؤية تستند إلى امتداد الفلسفة الطبيعية اليونانية كما تبلورت في أعمال أرسطو وجالينوس، ثم أعاد الفلاسفة والأطباء المسلمون صياغتها ضمن أفق توحيدي يربط بين الطبيعة والنظام الكوني.(Nasr, 1976 ,pp.196–210)

وفي هذا الإطار، يتضح أن التيفاشي اعتمد على تراث فلسفي وطبي متراكم، فقد استفاد من المصنفات اليونانية المترجمة، كما تأثر بكتابات أطباء الإسلام الكبار مثل الرازي وابن سينا، ولا سيما فيما يتعلق بنظرية الأمزجة وقوى الأدوية المفردة. ويؤكد فؤاد سزكين أن انتقال هذا التراث إلى الغرب الإسلامي تم عبر مسارين متكاملين: مسار أندلسي نشط في الترجمة والشرح، ومسار مشرقي عبر الرحلة العلمية وتداول الكتب، مما أتاح لعلماء المغرب الإفادة من ذخيرة علمية واسعة في مجالات الطب والصيدلة وعلم المعادن .(Sezgin, 1996, pp. 25–32).

ويمتاز منهج التيفاشي بتأكيده على الملاحظة الحسية والتجربة العملية في التحقق من خصائص الأحجار، وهو ما ينسجم مع النزعة التجريبية التي طبعت جانبًا معتبرًا من العلوم الإسلامية التطبيقية. فقد كان ينسب إلى كل حجر "قوة طبيعية" تؤثر في البدن، تأثيرا باطنيًا يمتد إلى النفس والروح، مع ربط هذه القوى بالبنية الكونية وعلاقة العناصر بالأفلاك (التيفاشي، 1977، ص 55–65)، في إطار التصور الطبي-النجومي الذي ورثه المسلمون عن اليونان وطوّروه.

يرى نصر أن هذا الربط بين القوى الأرضية والتأثيرات الفلكية لا ينبغي فهمه بوصفه خرافة، بل باعتباره جزءًا من رؤية كونية متكاملة ترى العالم وحدةً مترابطة المستويات (Nasr ,1976, pp. 203–205)، وعليه فإن أزهار الأفكار يمثل حلقة متقدمة في تاريخ علم الأحجار بالمغرب الإسلامي، إذ جمع بين النقل عن التراث السابق، والتجربة الشخصية، والتأويل الرمزي، مما يعكس موقع التيفاشي ضمن تقليد علمي سعى

إلى التوفيق بين العلم الطبيعي والتصور الروحي للكون، في سياق حضاري مغاربي تفاعل بعمق مع المشرق والأندلس.

1.3- أهمية الكتاب في تاريخ العلم

يعتبر الكتاب مرجعًا مبكرًا في علم المعادن في الحضارة الإسلامية، ويعكس تداخل العلوم بين الطبيعة، الطب، الفلسفة، والدين. كما سبّق زمنه في تصنيف المواد الطبيعية على أسس وصفية دقيقة، ما جعله حلقة وصل بين التراث الإغريقي الهيليني، والتراث الإسلامي، والفكر العلمي الأوروبي لاحقًا (يوسف، 1977، ص 122–125)، تم تحقيق الكتاب حديثًا على يد أحمد فؤاد باشا ونشر في دار الكتب العلمية. توجد عدة مخطوطات محفوظة في مكتبات مرموقة مثل: مكتبة الأزهر، القاهرة، المكتبة الوطنية باريس، مكتبة جامعة القرويين، فاس. (حسن العلوي، 1980، ص 145–148)

يقدم كتاب التيفاشي نموذجًا لتداخل العلم والتصوف في الحضارة الإسلامية، حيث جمع بين: الوصف العلمي للشكل، اللون، الوزن، أماكن الاستخراج. والخواص العلاجية كعلاج الأمراض الجسدية والنفسية، كالعقيق ضد الحمى والزمرد للعيون. والرمزية والروحانية بالارتباط بالكواكب، ودفع الأرواح الشريرة، والطلاسم الصوفية (Al-Hassan, **2001, pp. 210–215**). ويعكس هذا التحليل تداخل الطب بالرمز والدين، ويُظهر كيف كان الطب في المغرب الإسلامي أكثر شمولية من مجرد معالجة الجسم، بل شملت الروح والبيئة الاجتماعية والثقافية.

2.3- منهجية التيفاشي العلمية

اعتمد التيفاشي على المنهج العملي والتجريبي في دراسة الأحجار، حيث ذكر تجاربه الخاصة واختبارات مثل الحرق والغمر بالماء والاحتكاك لتحديد خصائص كل حجر، مميزًا بين الفوائد الصحيحة والاعتقادات الشعبية الخاطئة (التيفاشي، 1977، ص 70–75) بالمنهج العملي، فقد ركز التيفاشي على الحقائق الموجودة في البيئة المحيطة به، مع رفض نقل أي معلومة عن الأحجار لم يجدها في الواقع. أما المنهج التجريبي فقد قام باختبارات عملية على الأحجار لتحديد تأثيرها على الأمراض المختلفة، مثل اختبار الفيروز على الجلد لمعرفة تأثيره (التيفاشي، 1977، ص 90–100)، وهو ما يعكس دقة التجربة العلمية قبل ظهور المنهج الحديث في الكيمياء والفيزياء (Nasr,1976,pp. 196–198).

يُظهر تصنيف التيفاشي للأحجار في كتابه **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار** نزعةً منهجية واضحة تعكس تداخُل المعرفة المعدنية بالطبية والرمزية في الثقافة الإسلامية الوسيطة. فقد قسّم مادته إلى أربع فئات كبرى: المعادن كالذهب والفضة، والأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والعقيق، والأحجار ذات الأصل العضوي كاللؤلؤ والكهرمان،

ثم مواد أخرى ذات استعمال طبي وصيدلاني مثل الكحل والزرنيخ (التيفاشي، 1977، ص100). ويُبرز هذا التقسيم تأثره بالبنية التصنيفية للعلوم الطبيعية كما استقرّت في التراث الأرسطي-الإسلامي، حيث يُنظر إلى الموجودات بحسب أصولها العنصرية وخصائصها النوعية (Nasr, 1976, pp. 196–198).

ولا يقتصر عمل التيفاشي على التصنيف العام، بل يدرس كل حجر ضمن شبكةٍ من المحاور المتكاملة: فيبدأ بتحديد اسمه بالعربية وما يقابله في اللغات الأخرى، وهو ما يعكس وعيًا بالتعدد الثقافي لمسارات المعرفة وتداولها التجاري والعلمي بين اليمن ومصر والمغرب والهند والصين، وهي أقاليم شكّلت فضاءً واسعًا لتجارة الأحجار وانتقال الخبرات المعدنية (Sezgin, 1996, pp. 25–32). ثم ينتقل إلى بيان مواضع وجود الحجر ومظانّ استخراجه، رابطًا بين الجغرافيا الطبيعية والخصائص النوعية للمادة، في انسجام مع تقليد "علم المعادن" الذي تطوّر في الحضارة الإسلامية بوصفه علمًا تطبيقيًا ذا صلة بالاقتصاد والطب معًا (Holmyard, 1957, pp. 135–140).

كما يُفرد التيفاشي حيّزًا لبيان الخصائص الفيزيائية من حيث اللون والشفافية والصلابة والهيئة، وهو ما يكشف اعتمادًا على الملاحظة الحسية والتجربة، انسجامًا مع النزعة التجريبية التي ميّزت جانبًا مهمًا من العلوم الطبيعية الإسلامية (Nasr, 1976, pp. 203–205). غير أنّ دراسته لا تقف عند الوصف الظاهري، بل تتجاوزه إلى بيان الفوائد الطبية المنسوبة إلى كل حجر، كعلاج النزيف أو الحمى أو آلام المعدة، ضمن إطار نظرية "الخواص" التي ترى أن لكل مادة قوةً طبيعية تؤثر في البدن تبعًا لمزاجها العنصري (Ullmann, 1978, pp. 250–255).

ويضاف إلى ذلك البعد الرمزي-الكوني، إذ يربط التيفاشي بين بعض الأحجار والكواكب، ويذكر تأثيراتها في دفع الأرواح الشريرة أو جلب المنافع، وهو تصور يجد جذوره في الطب اليوناني-الهلنستي كما أُعيد تأويله في البيئة الإسلامية ضمن رؤية توحيدية للكون تعتبر الترابط بين العلوي والسفلي جزءًا من نظام إلهي محكم (Nasr, 1976, pp. 204–206) وأخيرًا، يطعّم عرضه بمقتطفات شعرية وأخبار أدبية، مما يعكس الطابع الموسوعي للأدب العلمي في المغرب الإسلامي، حيث يمتزج البيان الأدبي بالتحليل الطبيعي في خطابٍ واحد.

وعليه فإن منهج التيفاشي في دراسة الأحجار لا يُفهم بوصفه سردًا وصفيًا فحسب، بل باعتباره مشروعًا معرفيًا يجمع بين التصنيف الطبيعي، والاستعمال الطبي، والدلالة الرمزية، والامتداد الأدبي، في إطار رؤية كونية شاملة تميّزت بها العلوم الإسلامية الوسيطة.

4. الأحجار الأكثر استعمالًا وخصائصها

الحجر	الوظيفة الطبية	طريقة الاستخدام
الياقوت	مضاد للسموم – يهدئ القلب	يُحمل، يُطحن، يُوضع في ماء
الزمرد	يقوي البصر – يمنع الهذيان	يُنظر إليه أو يُشرب منقوعه
العقيق	يسكن آلام المعدة – ضد الحمى	يُعلّق على الجسد
اللازورد	طارد للأرواح الخبيثة – منشط للدماغ	يُلبس أو يُسحق
الكهرمان	مضاد للروماتيزم – منشط الدورة الدموية	يُدلّك به أو يُحمل

تؤكد هذه الأمثلة أن الجانب الطبي والرمزي متداخل، حيث لم يكن العلاج مقتصرًا على الخصائص الفيزيائية للحجر، بل شمل التأثير النفسي والروحي على مستخدمه. كما يظهر من هذه الأمثلة كيف دمج التيفاشي بين الطب التجريبي والمعتقدات الرمزية (التيفاشي، 1977، ص 120–140)، مع مراعاة البعد النفسي والروحي للمريض (Nasr, 1976, pp. 203–205).

1.4- طرق استعمال الأحجار طبيًا

اعتمد التيفاشي في كتابه على عدة طرق لاستعمال الأحجار في علاج الأمراض الجسدية والنفسية، يمكن تلخيصها في ثلاث طرق رئيسية: التعليق على الجسد (كتمائم أو قلائد)، فالعقيق: يُعلّق لدفع الحمى، أما الياقوت: يُستخدم لتهدئة القلب ومنع النزيف. أما الزمرد: حماية العين من التلف.

الابتلاع أو الشرب، يطحن الحجر ويمزج بالماء أو الحليب أو الخل، ثم شربه، مثل بودرة الياقوت لمقاومة السموم. إضافة إلى نقع الحجر في الماء، ثم شرب الماء للاستفادة من "طاقة الحجر".

اللبس والاحتكاك المباشر، هناك من الأحجار تلبس كلبس الخواتم والأقراط التي تلامس الجلد لنقل خصائص الشفاء، مثل الكهرمان لعلاج آلام المفاصل وتنشيط الدورة الدموية (التيفاشي، 1983، ص 150–160).

العلماء الأطباء مثل ابن سينا لم يُنكِروا استخدام بعض المعادن أو الأحجار في التداوي، لكن وفق أسس تجريبية وطبّية، لا سحرية، ففي كتابه الشهير "القانون في الطب"، وتحديدًا في الجزء الأول من الكتاب، يقول ابن سينا: "إنّ الأحجار والمعادن، منها ما يُنتفع به في التداوي، كالإثمد والكحل والرصاص وغير ذلك، ولكن لا ينبغي الاعتقاد بأن لها قوى خفيّة تؤثر في النفس أو المصير، إلا ما ثبت بالتجربة والقياس، فإن ما لم يُجرب أو يُفسّر بالعقل، فهو من قبيل التخرص والتمويه. (ابن سينا، ص 162–168)، ففي معرض حديثه عن الخواص الطبيعية لبعض المواد المعدنية، مثل الكبريت

والزرنيخ، يقول: "الطبيب لا بد أن يعتمد في أحكامه على التجربة، لا على دعوى الخاصية المجهولة أو التأثير الفلكي" (ابن سينا، ص 168)، وبذلك فهو اشترط التجربة والبرهان العلمي، ورفض الاعتماد على التنجيم أو الرمزية الغيبية دون دليل، وفرّق بوضوح بين العلاج بالمعدن من جهة طبية، وبين الاعتقاد بخواص سحرية أو روحانية لا دليل لها (أبو زيد، 2005، ص 112–116).

2.4- الجانب الرمزي والروحاني

كان للأحجار دور في الرقى الصوفية والزوايا، حيث استخدمت لحماية الأفراد من الأرواح الشريرة والجن. وقد حذر بعض الفقهاء من استخدام الأحجار فيما يتعلق بالسحر، بينما أقرّ البعض الآخر استعمالها لأغراض علاجية بحتة، ما يعكس اختلاف المواقف بين العلماء والمتصوفة والعامة (Al-Hassan, 2001, pp. 210–215)

ربط التيفاشي الأحجار بالكواكب السبعة (الشمس، القمر، عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل). مؤكدا استُخدامها في التنجيم، التعزيم، والسحر الأبيض، وأحيانًا في الزوايا ضمن الطقوس الصوفية، ودفع الأرواح الشريرة. كما أشار إلى استحضار القوى الغيبية عبر الأحجار، وهو ما يعكس مزيجًا بين الطب التجريبي والروحاني (العلوي، 1980، ص 150–152)، مما يعكس تداخل الطب بالروحانيات (Al-Hassan, 2001, pp. 210–215).

3.4- الاختبارات العملية للأحجار

ناقش التيفاشي طرق اختبار صدق الحجر أو زيفه مثل: الحرق، الكشط، الغمر بالماء، أو التعرض للحرارة والضوء. وبيّن أساليب الغش المنتشرة في سوق الأحجار (التيفاشي، 1983، ص 170–180)، فقد استند التيفاشي إلى مصادر معرفية كأعمال العلماء القدامى مثل: جالينوس، أرسطو، الرازي، ابن سينا، أرخميدس، بطليموس، ابن وحشية، البيروني، مع تعليقات نقدية أو إضافية (يوسف، 1977، ص 123–125).

4.4- الوظائف الاجتماعية والثقافية للأحجار

تتجاوز قيمة الأحجار الطبية الجانب العلاجي لتشمل الزينة والتجارة والمناسبات الاجتماعية، فقد استخدمت في حفلات الزواج والولادة، وكذلك كرمز اجتماعي بين النبلاء والحكام، ما يعكس البعد الثقافي والاجتماعي لممارسة التداوي بالأحجار (التيفاشي، 1983، ص 200–210). كما يظهر تأثير هذه الممارسة في التراث الشعبي، مثل الأمثال والحكايات والأساطير التي تعكس الاعتقاد في قوة الأحجار وقدرتها على دفع الحسد والأذى، ما يوضح تداخل المعرفة العلمية بالتقاليد الشعبية(Nasr . pp. 204–206).

الخاتمة:

يمكن اعتبار التداوي بالأحجار الكريمة في المغرب الإسلامي نموذجًا لتداخل العلم، الدين، والفلسفة الطبيعية، ويمثل حلقة وصل بين التراث الإغريقي-الهيليني والتقاليد العلمية الإسلامية، مع استمرار تأثيره في الثقافة الشعبية المغربية.

يؤكد التيفاشي على أهمية معرفة الأحجار في خدمة الطب، الدين، والتجارة. كما يدعو إلى تمييز الصحيح من الباطل في المرويات عن الأحجار. وجاء التيفاشي يقدّم كتابه "أزهار الأفكار" كمرجع جامع يجمع بين التجربة، النقل، والبعد الروحاني، مما يجعله وثيقة قيّمة لفهم الفكر العلمي المغاربي الوسيط ما يظهر التداخل بين المعرفة والعقيدة.

كتاب التيفاشي يُظهر كيف جمع بين المعرفة العلمية والتجربة العملية والرمزية الروحية، ما جعله مرجعًا موسوعيًا يجمع بين الطب، الفلك، التصوف، والأدب. اعتمد على الملاحظة والتجربة الدقيقة، مميزًا بين المعلومة الصحيحة والخرافة، وهو ما يمثل تقدمًا واضحًا على الطب الشعبي السائد آنذاك.

لم يكن استخدام الأحجار مقتصرًا على العلاج الجسدي، بل شمل البعد النفسي والروحي، وربط بين تأثير الحجر والكواكب، ودمج العلاج بالرمز والدين. مما جعل كتاب "أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" مرجعًا مهمًا لفهم تطور علم المعادن والطب الرمزي في الحضارة الإسلامية، وساهم لاحقًا في نشأة علم المعادن الحديث في أوروبا، خاصة على يد جورجيوس أجريكولا.

الأحجار كانت أداة للتزيين، التجارة، والطقوس الاجتماعية، ما يعكس انتشار هذه الممارسة بين مختلف فئات المجتمع المغربي. مما جعلها تتجاوز قيمة الأحجار الطبية الجانب العلاجي لتشمل الزينة والتجارة والمناسبات الاجتماعية. فقد استخدمت في حفلات الزواج والولادة، وكذلك كرمز اجتماعي بين النبلاء والحكام، ما يعكس البعد الثقافي والاجتماعي لممارسة التداوي بالأحجار.

كما يظهر تأثير هذه الممارسة في التراث الشعبي، مثل الأمثال والحكايات والأساطير التي تعكس الاعتقاد في قوة الأحجار وقدرتها على دفع الحسد والأذى، ما يوضح تداخل المعرفة العلمية بالتقاليد الشعبية.

الهوامش والمراجع:

1. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
2. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
3. ابن سينا، القانون في الطب، طبعة دار صادر، بيروت، د.ت، ج1.

4. التيفاشي، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983. ط2، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار الحرية، بغداد، 1977.
5. حسن العلوي، الفكر العلمي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
6. الرازي أبو بكر، الحاوي في الطب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج1.
7. الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965، ج3.
8. الزهراوي أبو القاسم، التصريف لمن عجز عن التأليف، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.
9. العظمة عزيز، العقلانية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991.
10. العلوي حسن، الفكر العلمي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
11. الغزال محمد، العلم والمجتمع في المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2015.
12. الكندي يعقوب، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1950.
13. ماهر أبو زيد، تاريخ الطب عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
14. محمد سليم، تاريخ علم المعادن عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995.
15. محمد يوسف، فهرس المخطوطات العربية، دار الكتب، القاهرة، 1977.
16. المقريزي، تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج2.
17. المنوني محمد، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1990.

1. Al-Hassan, *Science and Technology in Islam*, UNESCO, Paris, 2001
2. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*, Leiden, Brill, 1899, Bd.1,
3. Holmyard, *Alchemy*, Penguin Books, 1957
4. Nasr, *Islamic Science: An Illustrated Study*, World of Islam Festival Publishing, London, 1976
5. Sezgin, *Geschichte des arabischen Schrifttums*, Brill, Leiden, 1996, vol. 4
6. Ullmann, *Islamic Medicine*, Edinburgh University Press, 1978